منهجية محمد عابد الجابري في قراءته للتراث العربي الإسلامي.

ط/د.عوداش فنيحة
جامعة الجزائر2

ملخص المداخلة بالعربية:

شغلت قضية التراث العربي الإسلامي اهتمام العلماء والمفكرين بخصوص المناهج اللازمة لقراءة هذا التراث قراءة موضوعية ،نقدية وتحليلية من اجل إعادة بنائه ،وفي نفس الوقت الدعوة إلي التجديد و التغير. ومن بين هؤلاء المفكرين نجد محمد عابد الجابري الذي يدعو إلي ضرورة إتباع القراءة الابستيمولوجية لهذا التراث. ولهذا ارتأينا في هذه الورقة البحثية لمحاولة الإجابة علي التساؤلات التالية :كيف وضف الجابري الايستيمولوجية في قراءته للتراث العربي الإسلامي؟ وهل استطاع هذا الخطاب الابستيمولوجي في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي تجاوز العوائق والنقائص التي وقعت فيها المناهج الأخرى ؟

الكلمات المفتاحية:المناهج، الابستمولوجية، التراث، الايدولوجيا، الطوباوية.

ملخص المداخلة بالانجليزية:

The Arab Islamic heritage issue preoccupied the attention of scientists and thinkers about the curricula needed to read this heritage, substantive and analytical reading of cash for its reconstruction, and at the same time invited to innovation and change. Among these intellectuals find Mohammed Abed Al-Jabri, which calls for the need to follow the reading this heritage. That is why we figured in this paper to attempt to answer the following questions: How did the general supervisor Al jabri in reading the Arab Islamic heritage? Does this speech was able in the Arab and Islamic philosophical thought overcome obstacles and shortcomings of the other curricula ?does this reading was positive or negative?

Keywords : curricula,epistemological,,heritage ideology, utopians.

مقدمة:

لقد كانت مسألة قراءة التراث من المسائل التي شغلت العديد من المفكرين حول المناهج اللازمة لإتباعها لدراسته دراسة منطقية ،من اجل النهوض به وإعادة بنائه وتشكليه من جديد حتى يتمكن من مواكبة والانخراط في الحداثة ،لان الدراسات السابقة كانت عبارة عن التقليد والتبعية دون اللجوء إلي الفحص والنقد،وهذا ما ادفع بالمفكرين و الفلاسفة علي رأسهم محمد عابد الجابري (1935-2010) الذي حاول الكشف عن التراث العربي الإسلامي من خلال الحفر والتنقيب في ذلك التراث المتراكم لاكتشاف مصادره ومرجعيته وإظهار نقاط القوة والإبداع التي تضمنها ونقاط الضعف من اجل تطويره .وعليه السؤال الذي يتبادر إلي أذهاننا هو :كيف يتم قراءة التراث العربي الإسلامي في نظر الجابري؟وهل تمكن من الدفع بالتراث إلي مواكبة الحداثة ؟وهل هذه القراءة الابستيمولوجية كانت ايجابية أم سلبية؟.

1-ضبط مفهوم المصطلحات التالية:

ا-التراث:

فكلمة التراث تطلق علي الميراث أصله الوراثة والإرث انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد ولا يجري مجري العقد ويسمي بذلك المتنقل عن الميت ، فيقال للقنية الموروثة ميراث وارث وتراث أصله وارث فقبلت الواو والفاوتاء.[1]

ومن جهة أخري يقصد به كل ماهو حاضر فينا أو معنا من الماضي،سواء ماضينا أم ماضي غيرنا ،سواء القريب منه أم البعيد[2]

ويقصد به الهوية الثقافية للأمة والتي من دونها تضمحل وتتفكك داخليا وقد تندمج ثقافيا في احد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية أو بتعبير أدق الإبداع الفكري الذاتي للشعوب.[3]

باختصار التراث هو كل ما تركه وما خلفه السلف من المعارف والعلوم والفنون والعمران وكل المنجزات المادية والمعنوية عبر التاريخ.

ب - الابستيمولوجيا:

والإبستميه هو نظام الفكر العميق الذي يسيطر على البشر طيلة فترة معينة من الزمن، أو هي النظرية النموذجية التي تسيطر على جماعة المفكرين طيلة فترة معينة من الزمن، والتي يفسرون من خلالها كل شيء، وذلك قبل أن تسقط وتنهار وتحل محلها نظرية جديدة، فهناك الإبستميه الأرسطو طاليسي، وهناك الإبستميه الغاليليوي، وهناك إبستميه نيوتن، وإبستميه اينشتاين، وكل واحدٍ من هذه الإبستيميات كان يستخدم في وقته لتفسير الكون والعالم، وبالتالي فالإبستميه يعني نظام الفكر المسيطر في مرحلة تاريخية ما وبيئة ما.[4]

بعبارة أخري الابستيمولوجيا هي الطريقة أو الوسيلة التي يستعملها الباحث في دراسة موضوعه ونقد المعارف التي هو بصدد دراستها ، حيث وظَّف الجابري أيضاً نظرية الإبستميه أو (النظام المعرفي)؛ في تحديد مفهوم العقل العربي بوصفه بأنه النظام المعرفي القائم الذي يؤسس المعرفة وكيفية إنتاجها داخل الثقافة العربية. [5]

ج-المنهج أو المنهجية:

فالمنهج حسب الجابري هو أداة،والأداة لا تبرز فعاليتها إلا عند استعمالها بمقدار مطاوعتها وقدرتها علي التكيف مع المعطيات التي تعالجها.[6]

أما المنهجية فهي نهج نهجا أي سلك طريقا بغية الوصول إلى الغاية، و المنهجية يمكن أن نعتبرها علم بيان الطريق و الوقوف على الخطوات... أو الوسائط التي يتحقق بها الوصول إلى الغاية، على أفضل و أكمل ما تقتضيه الأصول و الأحوال، و الطريق قد يطول وتعتريه الكثير من العوارض و تتعدد فيه المنازل، فمابين المنحنيات التي قد تخرج السالك عن سبيله و ما بين المعارج التي قد ترتفع به لتفسح الآفاق تكثر المزالق و المهلكات التي تتعثر إزاءها الخطوات، و عندها تكون المنهجية مصدرا لابتغاء الرشد.[7]

2-منهجية قراءة التراث العربي الإسلامي عند الجابري:

إن الاهتمام بدراسة التراث عند الجابري بصفة خاصة، وعند المفكرين بصفة عامة كان نتيجة هيمنة الثقافة الغربية الأوروبية وتطورها ووصولها إلي تحقيق الأصالة والحداثة، بينما بقي الفكر العربي الإسلامي متأخرا ، متذبذبا ومنحصرا في التبعية والترجمة والتقليد دون الاعتماد علي آليات الفحص والنقد وهذا ماساهم في تراجع وانحطاط الحضارة العربية الإسلامية في جميع الميادين .

فقد شكل ظهور الهيمنة الحضارية الغربية هزة في ثقافتنا العربية فولدت لدينا حديثا عن التراث والأصالة والحداثة والتقليد ،وجعلت من ثقافتنا العربية ثقافة هامشية غريبة عن الحضارة وعن الأصالة وفرضت علينا

ألوانها وأشكالها. [8] وهذا إن دل علي شيء إنما يدل علي مدي تأثير الحضارة الغربية علي الحضارة العربية الإسلامية والتي كادت أن تفقد هويتها وتضمحل وتتلاشي بسبب هذا التأثير.

ويرجع هذا إلي أن القارئ العربي المعاصر يعيش تحت ضغط الحاجة إلي مواكبة العصر والعصر يهرب منه،إلي مزيد من تأكيد الذات ،إلي حلول سحرية لمشاكله العديدة المتكاثرة ،ولذلك تجده علي الرغم من أن التراث يحتويه ،يحاول أن يكيف احتواء التراث له بالشكل الذي يجعله يقرا فيه مالم يستطيع بعد انجازه ،انه يقرا كل مشاغله في النصوص قبل أن يقرا النصوص.[9]

فالسعي إلي التطور وتحقيق الأصالة والمعاصرة في الحضارة العربية الإسلامية دفع بالمفكرين إلي الأخذ من الحضارة الغربية من اجل الالتحاق بها ومواكبة العصر، و لكن في الحقيقة ما حاولوا القيام به هو هدم مقومات وأسس الحضارة العربية الإسلامية حتى كادت أن تفقد خصوصياتها التاريخية والدينية والأخلاقية.

ولهذا فالتعامل الحقيقي مع التراث العربي الإسلامي ينبغي أن يقوم علي خلخلة هذا التراث ،وغربلته غربلة جيدة ،وذلك في ضوء مناهج حديثة ومعاصرة عن طريق قراءة واعية ومتعمقة قائمة علي التفكيك والتركيب والبحث عن نقط التحول والتغير والمعاصرة الحداثية في هذا الموروث الإنساني مع إبعاد كل ما يمت بصلة إلي الدين والمقدس والثابت والأخلاق ،أي الدعوة إلي قراءة للتراث قائمة علي التنوير والتغير والتطوير وان كانت هذه القراءة الحداثة غير موضوعية إلي حدها،لكونها خاضعة لمشروع التغريب والاستلاب والهدم ،وتنطلق من مرجعية تفكيكية أجنبية تعترف بالدين والقيم والأخلاق والأعراف[10].

وهذا ما دفع بالجابري إلي محاولة إيجاد منهجية منطقية لقراءة التراث قراءة موضوعية ،لان القراءات السابقة لم تكن في المستوي المطلوب ، وهذا ما أكده في تحليله لقراءة المستشرقين للتراث العربي الإسلامي التي كانت منحصرة في التبعية والتقليد.

فالصورة العصرية الإستشراقية الرائجة في الساحة الفكرية العربية الراهنة عن التراث العربي الإسلامي،سواء منها ما كتب بأقلام المستشرقين أو ما صنف بأقلام من سار علي نهجهم من الباحثين والكتاب العرب ،صورة تابعة، إنها تعكس مظهرا من مظاهر التبعية الثقافية ،علي الأقل علي صعيد المنهج والرؤية .[11]

فقراءة التراث من طرف المستشرق في نظر الجابري يقرأه باستخدام المنهج الذاتوي حيث يقول أن المستشرق صاحب المنهج الذاتوي ،فانه علي الرغم من تعاطفه مع بعض الشخصيات الإسلامية ...،فانه يبقي مع ذلك موجه من داخل إطاره المرجعي الأصلي، إطار المركزية الأوروبية ،مشدود إليه،غير قادر ولا راغب في الخروج عنه ،أو القطيعة معه،انه يترد علي حاضره الأوروبي ،يتمسك بماضيه فيعيشه رومانسيا عبر تجربة هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات الروحانية في الثقافة العربية الإسلامية ،وقد يذهب إلي ابعد من هذا فيطالب من خلال تلك التجربة ،استعادة روحانية الغرب مما لدي الشرق. [12]

وأكثر من ذلك انه رفض دراسات الماركسية للتراث لأنها في نظره تدرسه من زاوية مغلقة لتخدم مصالحها فقط ، وهي لم تستطيع تحقيق الاستقلالية وإنما بقيت رهينة التبعية، حيث أنها تتميز عن سابقتها بكونها تعي تبعيتها للماركسية و تفاخر بها و لكنها لا تعي تبعيتها الضمنية للإطار نفسه الذي تصدر عنه القراءة

الإستشراقوية لتراثنا ... و هذا ما يجعل الصورة الماركساوية لتراثنا العربي الإسلامي تقوم هي الأخرى على الفهم من الخارج لهذا التراث، مثلها مثل الصورة الإستشراقوية سواء بسواء.[13]

فالمستشرق عندما يتجه إلي الثقافة العربية الإسلامية بنظرته التجزيئية لا يعمل علي رد فروعها وعناصرها إلي جذوره وأصول تقع داخلها ،أو علي الأقل مقروءة بتوجيه من همومها الخاصة بل هو يجتهد كل الاجتهاد في رد تلك الفروع والعناصر إلي أصول يونانية أو عندما تعوزه الحجة إلي أصول هند أو أوروبية، الشيء الذي يعني المساهمة ،ولو بطريقة غير مباشرة ،في العملية نفسها عملية خدمة النهر الخالد ،نهر الفكر الأوروبي الذي نبع أول مرة من بلاد اليونان .[14]

فالتعامل مع التراث تعاملا علميا يجب أن يكون علي مستويين،مستوي الفهم ومستوي التوظيف أو استثمار ،في المستوي الأول يجب أن نحرص فعلا علي استيعاب تراثنا ككل بمختلف منازعه تياراته ومراحله التاريخية ،أما علي المستوي التوظيف فيجب أن نتجه أكثر وأكثر إلي اعلي مرحلة وقف به التقدم[15] .ولهذا السبب يدعو الجابري إلي ضرورة قراءة التراث عن طريق فصل الذات عن الموضوع حتى تكون هذه القراءة صحيحة وناضجة.

والسبب في فصل الذات عن الموضوع في نظره هو أن القارئ العربي مؤطر بتراثه ،بمعني أن التراث يحتويه احتواء يفقده استقلاليته وحريته،لقد تلقي القارئ العربي ويتلقي تراثه من ميلاده ككلمات ومفاهيم كلغة وتفكير كحكايات وخرافات وخيال ،كطريقة في التعامل مع الأشياء كأسلوب في التفكير كمعارف وحقائق،كل ذلك بدون نقد وبعيدا عن الروح النقدية فهو عندما يفكر ،يفكر بواسطته ومن خلاله،فيستمد منه رؤاه واستشرافات مما يجعل التفكير هنا عبارة تذكر ،ولذلك فعندما يقرا القارئ العرب نص من نصوص تراثية يقراه متذكرا لا مكتشف ولا مستفهما.[16]

وعليه فدراسة التراث تستدعي البحث عن المناهج المفيدة التي تمكن الباحث في كيفية فصل الذات عن الموضوع لتحقيق قراءة منطقية وموضوعية للتراث.

فاستعمال أي منهج في فهم التراث عند الجابري مفيدا أو غير ذلك في جميع الحالات لا يصلح إلا عندما يكون الموضوع منفصلا عن الذات ،يتمتع باستقلاله النسبي كاملا فلا يدخل في تكوين الذات ولا الذات تتدخل في تكوينه بكيفية مباشرة ،وإذن، فعندما ما يتعلق الأمر بموضوع هو نفسه جزء من الذات و الذات جزء منه ،كالتراث عموما ،فان مشكلة المنهج تصبح حينئذ مشكلة الوسيلة التي تمكن من وصل الذات عن الموضوع والموضوع عن الذات حتى يصبح في الإمكان إعادة العلاقة بينهما علي أساس جديد.[17]

فالتراث في نظر الجابري ضروري لفهم الحاضر ومادام كذلك فلابد أن يكون التعامل معه تعاملا علميا ،ويقصد بالتعامل العلمي أن يلتزم البحث بأكبر قدر من الموضوعية واكبر من المعقولية فالموضوعية أن يكون التراث معاصرا لنفسه، أما المعقولية هو جعل التراث معاصرا لنا وإعادة وصله بنا. [18]

ويكون هذا بتجنب قراءة المعني قبل قراءة الألفاظ ،يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة ،يجب وضع كل ذلك بين قوسين والانصراف إلي مهمة واحدة هي استخلاص معني النص من ذات النص نفسه ،أي من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه ،إن التعامل مع النص التراثي بوصفه

شبكة من العلاقات وتوجيه الانتباه والاهتمام التراثي إلي ملاحقة هذه العلاقات يجمد الحركة في تلك الخيوط العديدة إلي تحول الكلمة العربية لدي القارئ العربي إلي نغم ،أو إلي صورة حسية ،أو إلي مجموعة أحاسيس وأشجان أي تحرير الذات من هيمنة النص التراثي يتطلب إخضاع النص التراثي لعملية تشريحية دقيقة وعميقة تحوله بالفعل إلي موضوع الذات ،إلي مادة للقراءة [19]

وحتى تتحقق هذه الموضوعية لابد من إتباع الخطوات الثلاثة المتمثلة في البنيوية والتي يقصد بها معاملة فكر صاحب النص ككل تتحكم فيه ثوابت ويعتني بالتحولات التي يجريها عليها حول محور واحد .ويتعلق الأمر أساس بمحورة فكر صاحب النص حول إشكالية واضحة قادرة علي استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها فكر صاحب النص في إطاره التاريخي الذي يتعلق أساسا بربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية و الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية.[20]

بالإضافة إلي الطرح الإيديولوجي الذي يراد به أن التحليل التاريخي سيظل ناقصا ،صوريا مجردا ،مالم يسعفه الطرح الإيديولوجي،أي الكشف عن الوظيفة الإيديولوجي،التي أداها الفكر بمعني الذي ينتمي إليه.يتعلق الأمر إذن ،بإزالة القرين عن الفترة التاريخية التي ينتمي إليها النص والتي أخذت حين المعالجة البنيوية كزمان ممتد،وإعادة الحياة إليها إن الكشف عن المضمون الإيديولوجي لفكر ما هو الوسيلة الوحيدة لجعله فعلا معاصرا لنفسه ،مرتبطا بعالمه.[21]

والهدف عند الجابري من دراسة هذه الأنظمة الثلاثة ومحاولة استنباط البنية التي تقبع خلفها، هو من أجل التمهيد لطريق النهضة، فلا "يمكن بناء نهضة بعقل غير عقل ناهض، عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته ورؤاه. [22]

والهدف الذي يرمي إليه هو جعل التراث معاصرا لنفسه علي الصعيد الإشكالية النظرية والمحتوي المعرفي والمضمون الإيديولوجي ،الشيء الذي يتطلب معالجته في محيطه الخاص ،المعرفي والاجتماعي والتاريخي وهذا هو معني الموضوعية ،وفي الوقت نفسه جعله معاصرا لنا بنقله إلينا ليكون موضوعا قابلا لان نمارس فيه وبواسطته عقلانية تنتمي إلي عصرنا،وهذا هو معني المعقولية .[23]

فمن اجل تحقيق هذه العملية بدقة وموضوعية، لابد من وضع قطيعة ابستيمولوجيا والتحرر من كل الرواسب التراثية والتبعية .

فالقطيعة الابستيمولوجية التي يقصدها الجابري هي التي تتناول الفعل العقلي ،والفعل العقلي نشاط يتم بطريقة ما أو بواسطة أدوات هي المفاهيم ،وداخل حقل معرفي معين،قد يظل موضوع المعرفة هوهو،ولكن طريقة معالجته والأدوات الذهنية التي تعتمدها هذه المعالجة والإشكالية التي توجهها والحقل المعرفي الذي تتم داخله ،كل ذلك قد يختلف ويتغير عندما يكون الاختلاف عميقا وجذريا ،أي عندما يبلغ نقطة اللارجوع ،النقطة التي لا يمكن الرجوع منها إلي الطريقة السابقة ،نقول :إن هناك قطيعة ابستيمولوجية.[24]

معناه أن الابستيمولوجيا تدرس وتنقد وعي الإنسان بالعالم،بما فيه هو نفسه وعيه المؤسس علي اكبر قدر ممكن من الموضوعية ،ولكن الخاضع في الوقت ذاته لتاريخية الإنسان كفرد في المجتمع ،الشيء الذي يجعل وعيه انعكاسا ايديولوحيا لواقعه العام ،ومن هنا تلك الصيغة الايديولوجيا التي لابد أن يتضمنها

،صراحة أو ضمننا كل بحث ابستيمولوجي. [25] وعليه فالقطيعة التي يدعو إليها الجابري ليست القطيعة مع التراث بل القطيعة مع نوع من العلاقة مع التراث،القطيعة التي تحولنا من كائنات تراثية إلي كائنات لها تراث، أي إلي شخصيات، يشكل التراث احد مقوماتها ،المقوم الجامع بينها في شخصية اعم ،هي شخصية الأمة صاحبة التراث .[26]

وعليه فالقطيعة التي يدعو إليها الجابري ليست القطيعة مع التراث بل القطيعة مع نوع من العلاقة مع التراث،القطيعة التي تحولنا من كائنات تراثية إلي كائنات لها تراث، أي إلي شخصيات، يشكل التراث احد مقوماتها ،المقوم الجامع بينها في شخصية اعم ،هي شخصية الأمة صاحبة التراث .[27]

فالجابري هنا لا يدعو إلي وضع القطيعة مع التراث، إنما ما يدعو إليه هو التخلي عن الفهم التراثي للتراث أي التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا لتراث،وعلي رأس هذه الرواسب القياس- النحوي -الفقهي الكلامي في صوته الآلية اللاعملية التي تقوم علي ربط بجزء ربطا ميكانيكيا ،والتي تعمل بالتالي علي تفكيك الكل وفصل أجزائه عن إطارها الزماني المعرفي الإيديولوجي.[28]

هذا الاهتمام بالبحث الابستيمولوجي في الفكر العربي والإسلامي كان نتيجة طبيعة لظاهرة هيمنت علي مختلف منازع هذا الفكر ظاهرة الجدال والمناقشة ،سواء تعلق الأمر بالتغير أو التحديث،أو بالفقه أو بالكلام أو الفلسفة نجد أنفسنا دائما أمام مذاهب وفرق تربط بينها وتفر بينها في أن واحد ،مساجلات ونقاشات لا حد لها ولا حصر ،مما جعل الجدال والمناظرة فنا،بل علماء،قائم الذات في الثقافة العربية بدراسة الطلبة في مراحل العليا من دراساتهم.[29]

فمن الملاحظات السابقة أثارة الانتباه إلي أن القضية المنهجية الأولي التي تواجه الفكر العربي المعاصر في محاولته إيجاد طريقة ملائمة للتعامل مع تراثه، ليس الاختيار بين هذا المنهج أو ذاك من المناهج بل فحص العملية الذهنية التي سيتم بواسطتها ومن خلالها تطبيق المنهج ،أي منهج ،المسالة الأساسية هي نقد العقل لا استخدام العقل لهذه الطريقة أو تلك[30].

والهدف الذي يرمي إليه هو جعل التراث معاصرا لنفسه علي صعيد الإشكالية النظرية والمحتوي المعرفي والمضمون الإيديولوجي ،الشيء الذي يتطلب معالجته في محيطه الخاص ،المعرفي والاجتماعي والتاريخي وهذا هو معني الموضوعية ،وعي الوقت نفسه جعله معاصرا لنا تنقله إلينا ليكون موضوعا قابلا لان نمارسه فيه وبواسطته عقلانية تنتمي إلي عصرنا ،وهذا هو معني المعقولية.[31]

يمكن النظر إلي العقل العربي،بوصفه عقلا فاعلا ينشئ وبصوغ العقل السائد في فترة تاريخية ما،الشيء الذي يعني انه بالإمكان إنشاء وصياغة مبادئ وقواعد حية تحل محل القديمة وبالتالي قيام عقل سائد جديد ناز علي الأقل تعديل أو تطوير ،أو تحديث أو تجديد العلل السائد القديم.[32]

فالجابري في هذه الحالة يحاول أن يتجاوز الدراسات التقليدية للتراث العربي الإسلامي، التي كانت تتمحور في دراسة أنواع الفلسفات والمذاهب والعلوم الموجودة داخل المجتمع، فهذه الدراسات في نظره أدت إلى تفكيك وحدة الفكر الفلسفي العربي إلى أجزاء متناثرة ولم تعمل علي تجديدها والنهوض بها.

فالدعوة إلي التجديد الفكر العربي أو تحديث العقل العربي ستظل مجرد كل كلام فارغ ما لم تستهدف أولا وقبل كل شيء ،كسر بنية العقل المنحدر إلينا من عصر الانحطاط ،وأول ما يجب كسره عن طريق النقد الدقيق الصارم هو ثابتها البنيوي القياس في شكله الميكانيكي الذي شرحناه،إن تجديد العقل العربي يعني في المنظور الذي نتحدث فيه إحداث القطيعة ابستيمولوجية تامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداتها إلي الفكر العربي الحديث والمعاصر.(33)

فمهمة هذه القطيعة هي محاربة كل مظاهر اللامعقول في حياتنا ،وبناء كل ما هو عقلاني ونقدي وعلمي وواقعي، وتوظيف هذه القطيعة في بناء المشروع التحديثي والتفاعل مع الحداثة الغربية علي النحو الذي تفاعل به ابن رشد مع الفكر اليوناني ،إذا ميز بين الآلة والمادة ،أي بين المنهج والنظرية ،وتولي الأولي وأهمل الثانية. (34).فالحداثة إذن واجبة وهي رسالة ونزوع من اجل التحديث ،التحديث الذهنية،تبحث المعايير العقلية والوجودانية .(35) وعليه فقراءة التراث قراءة واعية في نظر الجابري تستند إلي منهج علمي ،منطقي وعقلي ،من اجل النهوض به وتحديثه وعصرا نته.

2-أثار منهجية الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي:

من خلال هذه المنهجية نلاحظ أن الجابري لم يهتم بالتراث من اجل التراث ،وإنما سعي إلي دراسته من اجل الوصول إلي الحداثة والنهوض به من جهة ،ومن جهة أخري محاولة التحرر من التبعية ومن الرواسب التراث .وهذا ما صرح به عندما قال: أن الموضوع الذي أتعامل معه هو النص العربي هو التراث العربي الإسلامي ،والعقل الكامن فيه،واعتقد أن النقد الناجح لهذا الموضوع هو الذي يتحرر من هاجس العمل مثل الآخرين أو النسج علي منوالهم هكذا بصورة شعورية وبرغبة صبيانية ،وكل ما أتعبني في عملي حقا هو حرصي علي التحرر من مثل هذه الرغبة ومن مثل ذاك الهاجس.(36)

ما يميز مشروع الجابري النقدي هو الطرح المنهجي لدراسة تاريخ الفكر العربي الإسلامي ،لكن إستراتجية البحث الذي اعتمده اتصفت بأنها ترصد هذا الفكر كموضوع في ذاته بغض النظر عن اعتبارات مهمة تتعلق بكون هذا الفكر ليس منفصلا عن فهمه للخطاب أو الشريعة.(37)

فمن خلال هذا الموقف نلاحظ انه يصر كل الإصرار إلي قراءة التراث قراءة معاصرة تختلف عن القراءات السابقة التي تفتقد إلي الموضوعية والدقة والي الفحص والنقد.فقد استطاع تشخيص مرض العصر ومحاولة تطبيق عليه المنهج الابستيمولوجي من اجل التحرر من التبعية.

لكن ما هو ملاحظ من خلال مشروعه النقدي انه لم يتوصل إلي حدي بعيد الاستفادة من الآليات البنيوية والعقلانية والتاريخية التي وضفها لدراسة التراث ،لأنها لم تشكل نسقا منسجما متكاملا لهذا جاءت دراسته للتراث بعيدة عن الواقع التاريخي والعقلاني ولم يحاول نقد هذه الآليات نقد عقلي ومنطقي ،فالآليات المنقولة والتي توسل إليها الجابري لا تشكل نسقا متماسكا ،وهذه الآليات البنيوية والتكوينية والعقلانية الجدلية ،وهي غير مناسبة من جهة ،وأيضا أثناء استعمالها من جهة أخري.(38)

فرغم سعيه إلي تغيير المنظومة الفلسفية البنيوية برمتها وبكل عدها الموسوعي بالجزء الضائع منها: كتاب الحكمة المشرقية، وهكذا فانه بدلا من أن يستدل بالمشاهدة علي الغائب، فقد استدل بالغائب علي الشاهد.و

ليس هذا فحسب بل أن هذه المفارقة تأخذ بعدها الحقيقي من إدراكنا أن الشاهد المستدل عليه هنا هو الكل في حين أن الغائب المستدل به الجزء وهذا ما يتناقض مع ابسط قواعد المنطق الاستدلالي[39].

إضافة إلي ذلك أن نظرة الجابري للتراث لم تكن محايدة مجردة من أي هاجس إيديولوجي ،حتى عندما قرر الالتزام بالتحليل الإبستيمولوجي ،لم يرمي جانبا ما كان يحركه في الداخل من هموم إيديولوجية انه يؤكد في سياق رده علي بعض محاوريه انه لا نستطيع أن ننظر إلي موضوعنا التراث،نظرة محايدة لا مبالية ،فإنها حسب الإيديولوجي حاضر فينا دوما عدما نكون إزاء موضوع من موضوعات التراث[40]

يميل الجابري منذ البداية إلي الابستيمولوجيا فاختارها كمنهج يسهم في تفكيك بنية العقل وفهم آلية انشغاله لكن هذا الهم المعرفي لم يكن مجردا من الهم الإيديولوجي الذي ظهر فيما بعد أكثر في كتاباته لم يحق ما لديه من هموم النهضة القومية علي الرغم من انشغاله بالناحية العلمية والموضوعية وحرصه علي القيام بنقد جدي وصارم للأداة التي يقرا بواسطتها العربي ويفكر ويحلم ،أي العقل العربي . [41]

رغم انه دعي إلي الابتعاد عن الموضوعية والجانب الإيديولوجي في قراءة التراث الا انه لم يتمكن من التحرر منها وهذا ما نجده في كتاباته ،لهذا اتسمت منهجيته في إطارها التاريخي ومنهج التعامل معها جاءت متأثرة بالمناهج الأوروبي.

خاتمة:

من خلال دراستنا لمنهجية الجابري في قراءته للتراث نلاحظ انه دعي إلي التحرر من التبعية ، والسعي إلي التغيير والتجديد من خلال الاعتماد علي مقاييس منطقية وموضوعية في تحليل التراث ونقده وفحصه والابتعاد عن الذاتية والاعتماد علي عمليات النقد المختلفة لدراسته دراسة معقولة ، من اجل إعادة بناء الذات انطلاقا من المعطيات الماضي وليس الاضمحلال والتلاشي فيها.فهدفه إذن كان يرمي إلي تحقيق الحداثة ومواكبة العصر وتحقيق ثقافة ذات أصول عربية إسلامية.

الهوامش:

([1]) الراغب الأصفهاني:المفردات في غريب القران،تحقيق محمد سيد كيلاني،دار المعرفة،لبنان،1944،ص518.

([2])محمد العبد الجابري:التراث والحداثة ،دراسات ومناقشات،ط1991،1 ،ص45

([3]) حسن الحنفي ،دراسات فلسفية في الفكر الإسلامي المعاصر ،دار التنوير ،بيروت،ط 1995،1 ،ص49

([4])هاشم صالح:مدخل إلي التنوير الأوروبي ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت،ط 1 ،2005 ،ص ص132،131.

([5]) محمد الجابري، تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان،ط1 ،1984 ، ص 37

([6])محمد العبد الجابري:التراث والحداثة،ص42

([7]) محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، مراجعة و تحقيق محمد العاني، مؤمنون بلا حدود و دار الساقي، الطبعة الأولى، 2013،ص

([8]) شقير صالح :إشكالية العقلانية بين الذات والأخر ،مجلة دراسات الجامعية الأردنية،المجلد 26 ،العدد1 ،عمان،1999 ،ص117.

([9]) محمد عابد الجابري:نحن والتراث،قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي،المركز الثقافي العربي،ط6 ،1993 ،ص23

([10]) ادونيس:الثابت والمتحول،دار الساقي،بيروت،ط9 ،2006 ،ص13 .

([11]) محمد عابد الجابري:التراث ومشكل المنهج،المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية،دار توبقال للنشر ،دار البيضاء ،ط1 ،1986 ،ص81 .

([12]) المصدر نفسه،ص81 .

([13]) محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة، ،ص81

([14]) محمد عابد الجابري:التراث ومشكل المنهج،ص ص80-81

([15]) محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص47 .

([16]) محمد عابد الجابري:نحن والتراث ،ص22 .

([17]) المصدر نفسه،ص21

([18]) محمد عابد الجابري:التراث والحداثة،ص46 .

([19])محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص23 .

([20])المصدر نفسه،24 .

([21])محمد عابد الجابري:نحن والتراث ،ص24

([22]) محمد عابدالجابري، الحداثة والتراث: ص 22

([23]) محمد عابد الجابري، الحداثة والتراث ،ص47

([24])المصدر نفسه ،ص20 .

([25]) محمد عابد الجابري:مدخل إلي فلسفة العلوم،العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة الغربية،،ط 3،بيروت،1994 ،ص 41 .

([26]) محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص21

([27]) محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص21

([28])المصدر نفسه،ص21

([29]) محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص263 .

([30])محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص ص19-20

([31]) محمد عابد الجابري:التراث والحداثة،ص 47

([32])محمد عابد الجابري:تكوين العقل العربي،ص 16 .

([33])محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص20 .

([34])محمد عابد الجابري:نحن والتراث،ص57 .

([35]) محمد عابد الجابري:التراث والحداثة،ص17.

([36]) المصدر نفسه،ص297 .

([37]) يحي محمد:نقد العقل العربي في الميزان،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت،1997 ،ص 9 .

([38]) علي زهرة احمد:العقل العربي بنية وبناء،دراسة نقدية لمشروع الجابري ،نور للطباعة والنشر،لبنان،ط 1 ،2007 ،ص80 .

([39]) طرابيش جورج:وحدة العقل العربي الإسلامي دار الساقي،لبنان،ط 1 ،2002 ،ص 27 .

([40]) أبي نادر نايلة:التراث والمنهج بين أركون والجابري،الشبكة العربية للأبحاث ،لبنان،ط 1 ،2007 ،ص 465 .

([41]) محمد عابد الجابري:في قضايا الدين والفكر ،فكر ونقد،1991 ،ص17 .